ان ارى دولة يهودية في فلسطين وارى مجد اليهود يرتفع عاليا فيها . » ولفت جونستن الانظار الى مطامع الدول الاخرى في فلسطين فذكر ان اعطاءها لليهود سيكون احسن وسيلة لقطع دابر تلك المطامع.(١٢)

واستمرت الصحافة البريطانيـــة طوال ايلول (سبتمبر) وتشرين الاول (اكتوبر) بنشر رسائل ومقالات تعارض توطين اليهود غير المرغوب فيهم قرب المستوطنين الانكليز . واعرب الكثير من النواب عن آراء مشابهة في عدة مناقشات في البرلمان البريطاني.(١٣) وقد ظهرت النزعات المعادية للسامية بدون تستر او حياء في كثير مـــن التصريحات التي صدرت حول المشروع ، ولكن معاداة السامية بحـــد ذاتها تحتاج الـــى علل لوجودها وتفاقمها ، ونحن نجد هذه العلل في التطورات الاقتصادية التي اصبحت حقيقة واقعة منذ أن تحدث شمبرلن الى هرتزل حول مشروع يوغنـــدة . نشرت الجويش كرونكل في ١٨ ايلول ملخصا مقتضبا لتقرير سكك حديد يوغنـــدة الذي ذكر ان ٥،٢٣٨،٠١٩ جنيهـــا استرلينيا قد سبق ان انفقت حتى ذلك التاريخ على السكة موضوع النقاش . وليس من تعليق على المسالة خير او اجدر بالصدد من تعليق الصحيفة على التقرير عندما ذكرت « ان من الممكن الاعتماد على هذا التقرير بثقة اكثر من الملاسنة البديعـــة التي دونت وكتبت حول الموضوع»(١٤).

واصبح مشروع السكة والاراضي التي ارتفع ثمنها نتيجة للسكة العمود الفقري لحملة السر هاري جونستن ضد المستعمرة اليهودية . واحتجت احدى الرسائل المنشورة في التايمس ضد اعطاء « احسن واخصب البقع في الامبراطورية البريطانية الى صنف من البشر لا يحتملهم الناس في جميع الدول الاجنبية ويعتبرونهم عنصرا غير مرغوب فيه في نفس مملكتنا »(١٥) وجنحت كفة الميزان ضد اليهود بدرجة اكبر عنـــد اكتشاف خامات معدنية في المنطقة المعروضة لليهود . واضافت صحيفـــة التايمس ثقل رأيها ضد الكفة الصهيونية في مقال افتتاحي في عمودين كتب في الاسلوب المميز للتايمس . قال محررها ان المشروع سيؤدي الى تقويض اتجاه التلاحم والاندماج الذي يكفل لليهود فرصة المساواة مع غيرهم ومعاملتهم كمواطنين مخلصين والى تعميق انعزاليتهم كشعب منفصل مختلف. والطريق الصحيح لليهود هـــو ان يتركوا افريقيا جانبا ويوجهـــوا مساعيهم الى وطنهم الحقيقي والثابت فلسطين(١٦) . وحدث ان انبرى لوسيان وولف، البحاثة اليهودي المتضلع والخصم اللدود للصهيونية ، فدافع بقوة عن اهمية فكرة الاندمـــاج اليهودي وهـــاجم اي مشروع لمعاملتهم معاملة خاصة . وفي رسالته التي نشرتها التايمس وضمتها وزارة الخارجية الى ملفها المذكور اكد وولف ان اعطاء اليهود حكما ذاتيا في مكان ما يؤدي الى اضعاف مكانتهم المتساوية في كل مكان، ثم هاجم اية اشارة الى ما يسمى بالتقاليد القومية اليهودية وذكر أنه اذا تم تأسيس هذه المستعمرة اليهودية فستكون هذه التقاليد فيها هي « العادات السيئة للحياة التي نمت مع الاسف بين يهود اوربا الشرقية »(١٧).

ويبرز من المعلومات الآنفة رأي قوي ذو تأثير واضح ظهر في بريطانيا ووقف معارضا لاي وجود يهودي في محمية افريقيا الشرقية الغنية . وقضي على المشروع تدريجيا لا بارادة اليهود وتعلقهم العاطفي بفلسطين وانما بسلسلة من الحركات التكتيكية التي اجرتهـــا المصالح المالية والاستعمارية العظيمة النفوذ في الامبراطورية البريطانية . وقد رأينا كيف صحح شمبرلن نفسه سراعا فاستثنى يوغندة من المشروع . وكانت الرقعة التي تركت في الاخير لليهود عبارة عن هضبة وعرة مساحتها ١٨،٠٠٠ ميل مربع لا تكاد تكفي لاعاشة مليون شخص(١٨). وسلكت وزارة الخارجية ، في مفاوضاتها مع المنظمة الصهيونية ، سلوكا صعبا ايضا وخيبت آمال الصهاينة في كثير من النقاط ، كما سنذكر توا .

وجاءت ضربة الختام من لجنة التحقيق التي بعثت بهـــا المنظمة الصهيونية الى المنطقة فرجعت بتقرير سلبي غير مشجع . ولا بد أن نترك لحدس القارىء مسالة تفكير اعضاء اللجنة وتأثره بالشعور المعـــادي للسامية وضغطه ضـــد المشروع ولا سيما في المنطقة